دور الوسطية في ترسيخ الأمن الفكري ومحاربة التطرف الفكري

بقلم
د. عبد الحق لخذاري
قسم الحقوق ـ كلية الحقوق والعلوم السياسية ـ جامعة تبسة
lakhdari.hako@yahoo.fr

ملخص البحث

لاشك أن الوسطية لها دور كبير في محاربة التطرف بكل معانيه وبخاصة الفكري والديني، فهي تحمي الفكر من المفاهيم الخاطئة وتنميه بالمبادئ الصحيحة التي تنشر قيم التسامح والمواطنة والسلم،وتسعى إلى الحد من ظهور الظاهرة الارهابية بكل أشكالها والعنف والقوة المفرطة، وحتى تقوم بهذا الدور يجب توفر العديد من الشروط خاصة تلك التي تتعلق بطريقة التعامل مع التعاليم الشرعية والفقهية، ولهذا يجب التعامل معها بالوسطية والإيجابية في الطرح والمناقشة وتشجيع العقلانية واستخدام أدبيات الحوار والتفكير، ولا يقتصر في ذلك على الطريقة التقليدية في التلقين الشرعي، دون اعتماد آليات جديدة في تدريسها بطريقة تتماشى وروح العصر ومتطلباته،كما يلزم ربط فهم الواقع في التعامل مع هذه المواد الشرعية .

الكلمات المفتاحية : الوسطية، التعصب الفكري، حماية الأمن الفكري .

مقدمة :

تقوم الحياة السوية على مجموعة من الشروط التي تضمن استقرار الأفراد والجماعات، ومن أهمها التعامل بمنهج الوسطية في كل مجالات الحياة، فالوسطية هي الاعتدال وعدم التطرف ، وهي سبيل لتحقيق الأمن الفكري والبعد عن التطرف الذي يؤدي في غالب الأحيان إلى تهديد الأمن الانساني وعدم الاستقرار وظهور الفكر المتطرف وظهور الفكر الارهابي وانتشار العنف والقوة ، ولهذا فإن ترسيخ الفكر الوسطي موضوع يكتسي أهمية بالغة من أجل تحقيق وترسيخ الأمن الفكري .

وللوصول إلى فكر وسطي يجب حسن التعامل مع العلوم الشرعية والفقهية التي لها دور كبير في بناء الشخص السوي، ووظيفة تدريس وتلقين هذه العلوم تشريف وتكليف كباقي المسؤوليات، غير أن هذه الوظيفة تكتسي أهمية بالغة مقارنة بغيرها من التخصصات، إذ أن تلقين العلوم الشرعية للناشئة تلقينا سليما يراعي بين الأصالة والتجديد؛ يقتضي من الجهات المختصة إيجاد طرق فعالة ومؤثرة في عملية إيصال المعلومة للطلبة، لبلوغ العديد من الأهداف التي من بينها بناء شخصية الطالب السوي والوسطي، بعيدا عن التعصب

الفكري الذي يحيد به عن جادة الصواب ؛ ولتحقيق ذلك يجب أن تكون المقررات الشرعية متماشية مع هذا الطرح،وهذا يستلزم توافرها على مجموعة من المواصفات التي تساهم في محاربة التطرف الفكري الذي قد يطرأ في غياب منظومة متكاملة من المواد الشرعية المنقحة بالطريقة التي تحافظ على التراث وتواكب التطور والمعاصرة، فتجمع بين القديم والحديث بالشكل الذي يبني عقلية المسلم السوي .

التعريف بالموضوع : جاءت هذه المداخلة لتبين دور الوسطية في تحقيق الأمن الفكري لدى الأفراد ومحاربة التعصب الفكري الذي عادة ما يأتي عن طريق عدم الفهم الصحيح للتعاليم الشرعية أو لعدم وجود الشروط الموضوعية والشخصية لمن يقوم بتدريسها وتلقينها سواء في المسجد أو المدرسة أو الجامعة .

أهمية الموضوع: يكتسي هذا الموضوع أهمية بالغة إذ يتعلق مباشرة بواقع الإنسان وحياته اليومية، فالتطرف الفكري والديني والبعد عن الوسطية والاعتدال هي أسباب مباشرة لاختلال منظومة الحياة السوية، ومدعاة لظهور عدم الاستقرار الفردي والمجتمعي وتخلف الأمن الإنساني وظهور ممارسات العنف والإرهاب .

الإشكالية: ما هو دور الوسطية في تحقيق وترسيخ الأمن الفكري ومحاربة التطرف الفكري ؟ وما الشروط الواجب توافرها في الشخص السوي والوسطي وكذا في المنهج الوسطي حتى يتحقق الأمن الفكري ويساعد على محاربة التطرف الفكري والديني الذي يؤدي إلى العنف وظهور الظاهرة الإرهابية ؟

الدراسات السابقة: هناك العديد من الدراسات التي تناولت الوسطية وعلاقتها بالتطرف الفكري والديني، غير أنه على حد علمي المتواضع لا توجد دراسة تربط بين دور الوسطية ومصطلح الأمن الفكري، غير أن كل المواضع والدراسات السابقة لها ارتباط وثيق بعنوان هذه المداخلة، ونذكر منها ما يلي :

محمد نصير، الأمن والتنمية، مكتبة العبيكان، الرياض، د.ط، د.ت، ص 12، 13 .

معراج عب دالقادر مهاوي، ناصر دادي عدون، دور الجامعات في تعزيز الوسطية في مبدأ الوسطية والأمن الفكري والطلاب دراسة ميدانية على جامعة الأغواط بالجزائر، بحث مقدم لندوة دور الجامعات العربية في تعزيز الوسطية بين الشباب العربي .

حيدر، حيدر عبد الرحمن، الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية، رسالة دكتوراه مطبوعة، القاهرة– مصر.

محمد صالح الإمام، ثقافة الصورة ودورها في تحقيق الأمن الفكري في الدول المواكبة للتحضر، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، عمان، الأردن، 22، 25 جمادى الأول، 1430هـ، ص 14.

محمد بن عدنان السمان، الوسطية والأمن الفكري، بحث منشور بموقع :
http://www.alssunnah.com/main/articles.aspx?article_no=4431

منهجية تقسيم الموضوع ومعالجته : جاءت الدراسة وفق منهج تحليلي استنباطي وصفي واستقرائي،مع تشريح مفصل لدور الوسطية في ترسيخ مبدأ الأمن الفكري، وفق التقسيم التالي :

أولا : مفهوم الأمن الفكري

ثانيا :أهمية الأمن الفكري

ثالثا: مفهوم التطرف أو التعصب الفكري .

رابعا: مواصفات المنهج الوسطي الكفيل بتحقيق الأمن الفكري ومحاربة التعصب الفكري

خامسا: آثار الوسطية في مجال ترسيخ وتحقيق الأمن الفكري

أولا :مفهوم الأمن الفكري

لقد تعددت مفاهيم الأمن الفكري، ولكنها في النهاية تصب في معين واحد : فهو يعني العيش في مجتمَعٍ آمن مطمئنّ، مع الحفاظ على مكوِّنات الشخصيّة الإسلامية والهوية العربية والثقافة، والمنظومَة الفكريّة منبثقةٍ من الهوية الإسلامية التي لا تخالف الواقع والمعقول والعادات والتقاليد الموروثة المتماشية مع هذا الشرع .

والأمن الفكري هو الاستقرار والتوازن الفكري للإنسان، على مستوى العقل والتفكير والسير في الحياة وفق خطى آمنة ومتوازنة تتماشى والأحكام الشرعية ومتطلبات العقل، يقول تعالى مبينا دور نعمة الأمن في قريش : " الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف "[1].

فالأمن مطلب ضروري من مطالب الإنسان، وهو جزءٌ عظيم أيضاً، لا يتجزّأ من الإسلام، فالأمنُ من تمام الدين، ولا يتحقَّق الإسلام إلاّ بالأمن، ولا يُعمل بشعائر الدين إلا في ظلِّ الأمن، ولهذا كان من موعود الله لعباده المؤمنين، قال الله تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" [2]، وقد امتنّ الله تعالى بالأمن على أهل حَرَمه فقال تعالى: " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ" [3].

والأمن الفكري أحد فروع الأمن، بل يمكن القول بأنه الأساس لأي أمن على اعتبار أن الفرد إذا امتلك فكرا سليما راشدا استطاع أن ينعم بالأمن و الاستقرار الشامل الذي ينشده المجتمع من حوله[4].

وهو يعني كذلك قدرة المجتمع وجميع مؤسساته على تقديم تعريفات دقيقة وواضحة وغير متناقضة للثقافة الاجتماعية، وهذه التعريفات عليها ان تحقق التوازن مع الاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمجتمع بحيث يتم التعرف وبسهولة على كل المظاهر غير المقبولة للمجتمع وتحديدها والقضاء عليها [5] .

واستقرار الأمن الفكري يعتمد على بناء المعرفة، وإعداد جيل قادر على مواجهة تحديات العصر لأنه من

---

[1]– سورة قريش، الآية 4، 5 .

[2]– سورة النور، الآية 55.

[3]– سورة العنكبوت، الآية 55 .

[4]– فايز شلدان، دور كليات التربية بالجامعات الفلسطينية في الأمن الفكري لدى طلبتها وسبل تفعيلها،مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، المجلد الحادي عشرون، العدد الأول، يناير 2013، ص 35 .

[5]– محمد صالح الإمام، ثقافة الصورة ودورها في تحقيق الأمن الفكري في الدول المواكبة للتحضر، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، عمان، الأردن، 22، 25 جمادى الأول، 1430هـ، ص 14.

المؤكد أن المجتمع الآمن هو الذي يتمكن من تطوير المعرفة والمهارات الخاصة بأفراده في ظل بيئة مستجيبة [6].

ويعني الحفاظ على المكونات الثقافية الأصيلة في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة،أو الأجنبية المشبوهة، فهو يصب في صالح الدعوة لتقوية هذا البعد من أبعاد الأمن الوطني . وهو بهذا يعني حماية وصيانة الهوية الثقافية من الاختراق او الاحتواء من الخارج، ويعني أيضا الحفاظ على العقل من الاحتواء الخارجي وصيانة المؤسسات الثقافية في الداخل من الانحراف .

وهو اطمئنان الناس على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية، ويعني السكينة والاستقرار والاطمئنان القلبي واختفاء مشاعر الخوف على مستوى الفرد والجماعة في جميع المجالات النفسية والاجتماعية والاقتصادية .

ويعني صيانة عقول أفراد المجتمع ضد أية انحرافات فكرية أو عقدية مخالفة لما تنص عليه تعاليم الإسلام الحنيف أو أنظمة المجتمع وتقاليده.

ثانيا :أهمية الأمن الفكري

يعتبر الفكر البشرى ركيزة هامة وأساسية في حياة الشعوب على مر العصور ومقياساً لتقدم الأمم وحضارتها، وتحتل قضية الأمن الفكري مكانه مهمة وعظيمة في أولويات المجتمع الذي تتكاتف وتتآزر جهود أجهزته الحكومية والمجتمعية لتحقيق مفهوم الأمن الفكري تجنباً لتشتت الشعور الوطني أو تغلغل التيارات الفكرية المنحرفة، وبذلك تكون الحاجة إلى تحقيق الأمن الفكري هي حاجة ماسة لتحقيق الأمن والاستقرار الاجتماعي.

فهو بمثابةِ الرأس من الجسَد لِما له من الصِّلة الوثيقةِ بهويّة الأمّة وشخصيّتِها الحضارية، حيث لا غِنى لها عنه، ولا قيمةَ للحياة بدونه، فهو لُبّ الأمنِ ورَكيزتُه الكبرى، ذلكم هو الأمنُ الفكريّ. فإذا اطمأنَّ الناس على ما عندهم من أصولٍ وثوابِت وأمِنوا على ما لدَيهم من قِيَم ومُثُلٍ ومبادئ فقد تحقَّق لهم الأمنُ في أَسمى صوَرِه وأجلَى معانيه وأَنبلِ مَراميه .

فالأمن الفكري يأتي في الدرجة الأولى من حيث الأهمية والخطورة، وتصرفات الناس تنطلق من قناعاتهم التي تستند إلى أرصدتهم الفكرية والاعتقادية، وبهذا يكون منطلق كل عمل يمارسه الإنسان ويظهر في سلوكه من خير أو شر مستوطن في كيانه الفكري والاعتقادي ومستكناً في داخل النفس وأعماقها .

إن ربط الفكر بالأمن في مفهوم (الأمن الفكري) يجعلنا أمام مصطلح من المصطلحات المهمة في هذا العصر خاصة مع ما يشهده العالم من تطور وتقدم، كان له الأثر الإيجابي والسلبي في بناء العلاقات والتواصل مع الأفكار والمعارف المختلفة.

فالأمن الفكري تعبير دقيق يصوّر لنا غاية الاهتمام بفكر الإنسان، وحمايته من منهجي الإفراط والتفريط، أو قُل الغلو والانحراف، فالأمن الفكري كفيل بإذن الله بحفظ فكر الفرد المسلم وحمايته، وجعله في جادة

[6]- محمد صالح الإمام، المرجع نفسه، ص 2 .

الوسطية والاعتدال.

وفي المقابل فالخلل في الأمنِ الفكريّ طريقٌ إلى الخللِ في الجانب السلوكيّ والاجتماعيّ، وما سلكَت فئامٌ في الأمّة مسالِكَ العنفِ والإرهاب والقتلِ والإرعاب والتدمير والتفجير إلاّ تشبَّعت أفكارُها وغسِلَت أدمِغتها بما يسوِّغ لها تنفيذَ قناعاتها وتحسينَ تصرّفاتها، وذلك راجعٌ إلى رصيدٍ فكريّ ومخزون ثقافيّ أفرَزَ عملاً إجراميًّا وسلوكًا عدوانيًّا[7].

ثالثا: مفهوم التطرف أو التعصب الفكري

يقال تطرَّفَ جَانِباً : إِبْتَعَدَ إِلَى الطَّرَفِ، الجَانِبِ الآخَرِ،وتَرَّفَتِ الْمَاشِيَةُ جَوَانِبَ الْمَرْعَى : صَارَتْ بِأَطْرَافِهِ، وهو يعني :حاد الشَّيْءِ وَحَرْفِهِ، ويدل على عدم الثبات في الأمر، والابتعاد عن الوسطية، والخروج عن المألوف ومجاوزة الحَدِّ، والبُعد عما عليه الجميع[8].

والتعصب من العصبية، قال ابن منظور : " التعصب من العصبية، والعصبية : أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته، والتألب معهم على من يناويهم ظالمين كانوا أو مظلومين "[9].

إن التطرف الفكري هو رفض وإقصاء فكر الآخر وأيديولوجيته، وعدم قبوله والاستماع إليه وغلق أبواب الحوار معه، والابتعاد عن التجرد والإنصاف والحكمة في الحكم عليه والتشدد في التعامل معه ونقده بألذع الصور وتكوين صورة وإطار معين لفكر المخالف مشوبة بكثير من الأخطاء والمغالطات والتهكم، وهو ينجم عن عدة أسباب كتضخم الذات وتقديس الأنا، أو بسبب الجهل والتخلف المعرفي وعدم توسيع المدارك بمعرفته والاطلاع على ما يؤمن به، أو بسبب تقديس البشر والغلو فيهم إما لمكانتهم الدينية أو الفكرية .

إن التعصب ضد الرحمة واللين، قال تعالى : " ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[10].

وهو شيء مذموم حذرت منه الشريعة الإسلامية، فالتعصب لغير الحق مذموم،قال تعالى : ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا﴾[11] ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : " ليس منَّا مَن دعا إلى عَصَبِيَّةٍ، وليس منا مَن قاتَلَ على عَصَبية، وليس منَّا مَن مات على عَصَبية "[12].

والتعصُّب الفكري هو تغَلُّب فكرةٍ ما على عقل إنسان، يجعلُها تسيطِرُ على تفكيرِه، فتدرأ مُناقَضاتها، وتمنعُ

---

[7]– محمد بن عدنان السمان، الوسطية والأمن الفكري، بحث منشور بموقع :
http://www.alssunnah.com/main/articles.aspx?article_no=4431

[8]– محمد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط، د.ت، ج 4، ص 124 .

[9]– محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب المحيط، دار صادر، بيروت،لبنان، د. ط،،1424هـ، 2003م ج 1، ص 606.

[10]–سورة آل عمران، الآية 159 .

[11]– سورة الفرقان، الآية 43 .

[12]– آبادي أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم، عون المعبود شرح سنن أبي داوود، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،لبنان، د .ط، 1415 هـ، 1999 م، حديث رقم 5121، ج5، ص 22 .

مُضادَّاتها، والبعض يصلُ به الحال إلى أنْ تسيطرَ عليه، وتجتاز الإدراك إلى الأعصاب، فيَثُورُ كلَّما عرض غيرها، ويغلق عليه كلَّما رُوجِع فيها، فلا يقبل حتى النظَر فيما دُونها، لا يُقلب النظَر في دليلها، ولا يقبل نظرًا في دليلٍ لغيرها، ولا يتمعَّن في رأي مخالف، وتأخُذه روح عدائيَّة إلى درجة الانفجار على خَصمه، ومنشأ هذا التعصُّب، ودافعه تهيج في الأعصاب[13].

وهو قديمٌ في التاريخ البشري، ومستمرٌّ في أيَّامنا، في أثناء العلاقات بين الأمم والقوميَّات، والعلاقات بين الأديان والطوائف الدينيَّة، والعلاقات بين المذاهب والتنظيمات السياسيَّة، والعلاقات بين الجماعات الصُّغرى والمحليَّة[14].

كما ينجم بسبب الانغلاق وضيق الأفق، كما أن الفهم الديني الخاطئ والقراءة السلبية للدين تساهم في الانحراف الفكري كالتعصب الصليبي ضد المسلمين كان نتيجة للفهم الخاطئ لمبادئ الدين النصراني، بالإضافة إلى غياب أخلاقيات التعامل مع المخالف أو الآخر وغياب الحوار الجاد بالحسنى يعتبر سبب رئيسي في تغذية التعصب الفكري والإيديولوجي الواقع في عالمنا العربي المعاصر .

رابعا: مواصفات المنهج الوسطي الكفيل بمحاربة التعصب الفكري وتحقيق الأمن الفكري

1- فهم وتلقين التعاليم الشرعية بمنهج وسطي

إن المقصود بالأمن الفكري هو جملة التدابير والعوامل التي تساهم في تجنيب أفراد المجتمع من الوقوع في شوائب فكرية ودينية وعقدية تكون سببا في انحرافهم عن جادة الصواب والحق [15]، وهو بذلك يعني بناء عقلية متوازنة ووسطية تجنب الانحراف والوقوع في الضلال والزيغ، وتساهم في بناء منظومة الأمن داخل المجتمع والدولة ن والأمن الإنساني بصفة عامة، فالأمن الفكري جزء لا يتجزأ من الأمن الإنساني، بل هو القاعدة الأساسية في تكوينه وبنائه .

ولذلك فإن التعامل مع المادة الإسلامية أمر في غاية الأهمية، فهي إما سبيل إلى تحقيق الأمن الفكري والديني أو توغل في براثن التطرف الديني والفكري، ولذلك تساهم المقررات الشرعية أو " الدراسات الشرعية بصفة عامة "دورا بالغا في الأهمية ؛فهي أحد الاستراتيجيات الوطنية [16] التي تعول عليها الدول في تحقيق الأمن الفكري .

فهي تبني شخصية الإنسان وفق المبادئ الإسلامية الصحيحة، إذ تربط الإنسان في حياته بربه وخالقه عز وجل، فتزيد بالإضافة إلى بناء عقيدته التوحيدية والربانية ؛ بناء فكر إسلامي إنساني متميز، يجمع بين القيام

---

[13]- بليل عبد الكريم، التعصب، بحث منشور بالموقع الالكتروني :
: http://www.alukah.net/culture/0/38047/#ixzz3mSMz87qK

[14]- أديب إسحاق، وآخرون، أضواء على التعصب، دار الأمواج،بيروت، ط1، 1993، ص7.

[15]- محمد نصير، الأمن والتنمية، مكتبة العبيكان، الرياض، د.ط، د.ت، ص 12، 13 .

[16]- ويقصد بها الخطط التي تعتمد عليها الدولة من خلال تسخير جميع الإمكانيات المادية والبشرية في تعبئة أفراد المجتمع وترسيخ ثقافة الفكر السوي والوسطي ونبذ الانحراف الفكري والتطرف الديني .

بواجباته الدنيوية والدينية والأخروية في غير إفراط ولا تفريط وتبعده عن الانحراف والضلال في فكره وعقله.

فالعلوم الشرعية تعمل على تزكية الإنسان نفسيا وروحيا وفكريا وعقليا، فيجمع بين الروح والعقل، ولا يغلب طرفا على آخر، فالإسلام لا يريد صوفية متشددة بدون فكر متقد، يوازن بين مطالب الروح والجسد والعقل، وبالمقابل لا يريد للإنسان أن يكون عقلانيا يفكر بالماديات البحتة دون الروحانيات،ويؤمن بالمحسوسات دون الغيبيات [17]، ويراعي الحاجيات الآنية دون الأخروية، فيتكون بذلك اختلال فكري يودي بصاحبه إلى الهلاك، إذ لا علم ولا ماديات بدون إيمان وروحانيات، وبالمقابل لا دين بالروحانيات دون الماديات الضرورية لصيرورة الحياة، فلا إفراط ولا تفريط، قال تعالى : ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾[18].

فجوهر الفكر الإسلامي يدعو إلى الإيجابية والعمل والقوة والعدل الاجتماعي والمواءمة مع العصر، وإقامة الحضارة والنهضة على أساس المقومات الأساسية لفكرنا من عدل وخلق وحرية [19].

كما أن المقررات الشرعية تساهم في الوقاية من الانحراف الفكري من خلال محاربة والتصدي للغزو الثقافي والفكري القادم من الغير، وذلك من خلال الدعوة إلى التمسك بالأصالة الشرعية والأخلاق الإسلامية الفاضلة والقيم الروحية السامية التي يتحلى بها دين الله عز وجل القويم، والتحذير من التقليد الأعمى لكل ما هو مهدد للأمن الفكري للمسلم .

وهنا يجب التأكيد على نقطة في غاية الأهمية، وهي عدم الاقتصار في تلقين المواد الشرعية فقط ؛ بل يجب ترجمة هذه العلوم إلى سلوك وواقع ملموس، من خلال ترسيخ ثقافة حب الدين الإسلامي والموروث الفقهي الشرعي وغرس الأمن وحب الوطن في نفوس الطلبة، وإشعارهم بأن حماية الفكر الإنساني من الضلال والزيغ مسؤولية الجميع وأن العبء الأكبر يقع على طلبة العلوم الشرعية .

2-الوسطية والإيجابية في الطرح والمناقشة وتشجيع العقلانية :

إن الوسطية خاصية مهمة من خصائص الإسلام، وتكون في كل شيء، وهي تعني تجنُّب الغلو والتقصير؛ قال ابن القيم: "ما أمر الله – عزَّ وجل – بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إمَّا تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين " [20]، قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [21].

والوسطيَّة هي الدين كله، فهي تعني العدل، والخيار، والاستقامة، والاتزان، والقصد، وهي من أسمى

---

[17]– توفيق الطويل، أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة، د .ط، 1978، ص 352 .

[18]– سورة الأنعام، الآية 162 .

[19]– أنور الجندي، من منابع الفكر الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1386هـ، 1967م، ص 6 .

[20]– ابن القيم، الوابل الصيب، دار الكتاب العربي، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض. بيروت، ط 1 1405هـ، 1985م،ص 24.

[21]– سورة البقرة، الآية 143 .

المبادئ التي جاء الإسلام من أجلها .

والوسطية في إعداد مناهج و تلقين وتدريس العلوم الشرعية عامل مهم في تخريج جيل يحمل قيم الوسطية ويساهم في نشرها لدى أوساط المجتمع، وكل ما يزيغ عن هذا المنهج بهذه الخاصية سيؤدي لامحالة على ظهور التطرف الفكري المنحرف عن جادة الصواب والعقلانية والوسطية .

3- استخدام أدبيات الحوار والتفكير الإيجابي :

ينبغي على الملقن استخدام أدبيات الحوار والتفكير الايجابي، وغرسها لدى المتعلمين، حتى تؤتي عملية التلقين أكلها، فالحوار والمجادلة بالحسنى من السمات التي دعت إليها مبادئ الشريعة الإسلامية،قال تعالى : ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[22] والاختلاف والتنازع من طبيعة البشر التي فطر الله الناس عليها؛ ولهذا يجب أن تتكون المقررات الشرعية محتوية على وسائل الإقناع بالأدلة والبراهين العقلية وبالحجة المنطقية، بعيدا عن الخلافات الفارغة لهامشية التي تفرق ولا تجمع، وتهدم ولا تبني .

4- إعادة النظر في طرق التدريس واستبعاد الطرق التقليدية في التدريس والتعامل مع التراث الفقهي :

لا تقتصر على الطريقة التقليدية في التلقين الشرعي من دراسة للنظم والكتب الفقهية القديمة حفظا وسماعا فقط، دون اعتماد آليات جديدة في تدريسها بطريقة تتماشى وروح العصر ومتطلباته،فالمتتبع لمعظم المناهج في معظم الكليات الشرعية يجدها تعج بالكتب والمناهج التراثية التي تمتهن تصنيف الناس على نحو حاد وتفصيلي، تصنيفا يبدأ منذ القرون الأولى ولا ينتهي بمشارف العصر الحديث، بل هو في كل يوم يبحث له عن موطئ قدم في واقعنا البائس، والطلاب الذين يتماشون مع هذه المناهج الانغلاقية السائدة في معظم كلياتنا الشرعية يتخرجون وهم يتصورون أن الحقيقة الدينية مقصورة عليهم، وأن الأغلبية الساحقة من المسلمين ضالون منحرفون عن حقيقة الإسلام، ولذلك كان لعلم التجريح مثلا أثرا سلبيا- لدى بعض أدعياء العلم- في إقصاء العديد من العلماء والفقهاء كمصدر من مصادر التعلم .

أ-إعادة النظر في تدريس ميدان العقيدة : يجب النهوض بتدريس العقيدة من ميدان التقليد إلى التجديد، من خلال الابتعاد عن تدريس المواد العقدية بالطرق التقليدية،مع محاولة الابتعاد نوعا ما عن التعمق في الطوائف العقدية التي ظهرت عبر مختلف العصور، إذ تعتبر أحد المنافذ نحو ظهور الصراعات الفكرية والجدالات الكلامية العقيمة حول من هو الأحق والأقرب إلى السلفية الأولى .

ب- إعادة النظر في طرق التدريس التي تخص التصنيفات الفكرية : و تخص التصنيفات الفكرية التي تكمن في الرؤية المنغلقة على ذاتها، الرؤية الاصطفائية التي تعاين ذاتها بوصفها: الجماعة المصطفاة، وهي التي تفرز الإقصاء بالضرورة، الإقصاء الذي قد يبدأ لفظياً، ولكنه ربما انتهى بالإرهاب تقتيلا وتفجيرا، مرورا بمراحل متفاوتة من التبديع والتفسيق والتكفير العقائدي.

والتصنيفات التي نُعاني منها هي مجرد تفريع على أصل هذه الرؤية الانغلاقية الإرهابية، التصنيف فرع نابع

[22]- سورة النحل، الآية 125 .

من أصل، وهو كون المصنف يدعي امتلاك الحقيقة المطلقة، دون أن يمنح وعيه فرصة التعاطي مع تصورات الآخرين للحقيقة، أو حتى دون أن يعترف بحقهم في تمثل الحقيقة الخاصة بهم، ومن هنا يبدأ إقصاء الآخرين بوصفهم معارضين للحقيقة الأبدية الخالدة المطلقة، وهو السلوك الذي يتضمن بالضرورة تصنيف الآخرين كمنحرفين فكريا، بوصف التصنيف ذاته واجبا عقائديا. ويترتب على ذلك بالتتابع السنني الشرعي وجوب اضطهادهم ولو بالتصنيف الجائر؛ لأن هذا ما يعدّه المنغلقون على ذواتهم جزءا لا يتجزأ من تَجْلية الحقيقة التي يدعون امتلاكها كاملة.

يقول الدكتور عمار طالبي : أعتقد أن علم الكلام يحتاج إلى تجديد. فإذا كان المتكلمون القدماء اعتمدوا على ثقافة عصرهم، ويستدلون، مثلا، بالذّرّة لإثبات أن العالم مخلوق، فإن الأمور قد تغيرت الآن، وهذه الفكرة – بالمناسبة– يونانية في الأصل؛ وتشير إلى أن العالم لما انحلّ انتهى إلى عناصر نسميها الذرات أو المادة، وبما أن هذه الذرة تتغير وتتحرك وتنحل فهي غير أبدية أي محدثة تحتاج إلى خالق .لكن معنى المادة الآن تغير، وأصبحت طاقة... وبالتالي لابد أن يتغير الاجتهاد أيضا في المفاهيم الجديدة التي انتهت إليها العلوم.

إن علم الكلام علمٌ استدلالي على العقائد، وإذا كانت الأدلة القديمة أصبحت الآن غير نافعة فلابد أن نأتي بأدلة جديدة تتفق مع ما وصل إليه العلم والفكر في زماننا هذا، ولا نبقى نستدل بطريقة الجويني وأبي حسن الأشعري والباقلاني...[23].

5–ربط المقررات الشرعية بفقه الواقع :

والمراد بذلك ربط المقررات الشرعية الملقنة بواقع الطلبة المعاش،فكريا سياسيا واجتماعيا وثقافيا واقتصاديا، وتنزيل العلوم الملقنة وفق ما تقتضيه المرحلة بظروفها، من خلال معرفة طبيعة الأحوال والتصرفات البشرية المراد إنزال أحكام الشرع عليها .

وهذا الشرط يتأكد أكثر مع طلبة العلوم الشرعية الذين يتعاملون بطريقة مباشرة مع التراث الإسلامي، وحتى لا يقع الطلبة في مطية الانحراف الفكري بسبب البعد عن فقه الواقع، فإن الضرورة ملحة لأن تبرز المقررات الشرعية الفهم السليم والعميق للتراث الإسلامي الذي لا يكون إلا من خلال فهم الواقع المحيط بالإنسان،فلا يمكن التعامل مع هذا التراث دون إسقاط تعاليمه على واقع المجتمع، ومراعاة التطورات المعاصرة التي تواكب تطورات المجتمعات فهو تراص متجدد وليس تقليديا فحسب، فالتشريع الإسلامي بطبيعته وخصائصه قادر على مواكبة الحياة البشرية واستيعاب تطوراتها في نختلف المجالات، وأنه بذلك صالح لكل زمان ولكل إنسان،فالتراث الإسلامي يتضمن كليات وقواعد شرعية عامة موضوعية، مجردة عن الزمان والمكان، بحيث يصلح الاعتماد عليها في استيعاب ما يجد من الوقائع والحوادث عن طريق إدراج كل واحدة منها في دائرة نظائرها من هذه الكليات والقواعد الشرعية.

---

[23] – عمار طالبي في حوار مع موقع الرابطة المحمدية للعلماء، منشور بموقع :
http://www.feqhweb.com/vb/t2141.html

وفقه الواقع يعني فقه الأحوال المعاصرة، من العوامل المؤثرة في المجتمعات، والقوى المهيمنة على الدول، والأفكار الموجهة لزعزعة العقيدة، والسبل المشروعة لحماية الأمة ورقيها في الحاضر والمستقبل، مع عدم إغفال أصالة التراث الإسلامي ودراسة التاريخ وفقه السنن، و كما يقول عمر عبيد حسنة فالنزول إلى الميدان وإبصار الواقع الذي تتنزل عليهم في واقعهم في مرحلة معينة، وما يؤجل من التكاليف لتوفير الاستطاعة- إنما هو فقه الواقع، وفهم الواقع إلى جانب فقه النص .

فيجب أن لا يكون التعامل مع التراث كمن يعيش على هامش الحياة لا يستطيع أن يدرك أبعاد هذا العالم وما يجري فيه. بل يجب أن نتفاعل بالتراث مع الأحداث تفاعلا إيجابيا، فالتجديد من سمات التراث الإسلامي وفق متطلبات الواقع والعصر، فتنزيل النصوص هو ثمرة فقه الواقع وتفاعل النص مع الواقع، أو ما يسمى بفقه التنزيل، ففقه الواقع هو الفهم العميق لما تدور عليه حياة الناس من متغيرات وتطورات وأعراف وتقاليد، ومن خلاله تنزل الحكام الشرعية وفق هذا الواقع ومحاولة التجديد وفق كل عصر .

وهذا لا يعني تعطيل أحكام التراث الإسلامي كلية، بل التماشي وفق ما يمليه الواقع من غير تقليد أو تعطيل، ففي التراث الإسلامي ثوابت ومتغيرات، فالثوابت هي بمثابة أساسات لا يجوز تبديلها ولا تعطيلها،أما المتغيرات فيراعى فيها فقه الواقع المحيط بالبشر، ويجب مراعاة أعرافهم وتقاليدهم حسب كل مجتمع وبيئة، وتنزل أحكام التراث وفق هذه العوامل، في نمط تجديدي مع مواكبة روح العصر مع مراعاة أصالة التراث الإسلامي.

فالتعامل مع التراث يجب أن يكون مبنيا على دراسة الواقع المعيش، دراسة دقيقة مستوعبة لكل جوانب الموضوع معتمدة على أصح المعلومات وأدق البيانات والإحصاءات"

وفقه الواقع في جوانبه المتعددة يعطي تكاملا في الرؤية، وبعدا في النظر، وهي من بديهيات التخطيط الدقيق لمستقبل الأمة، وتطلعات الأجيال. وهذا التخطيط يشمل جميع مناحي الحياة: الدعوية، والعلمية، والاقتصادية، والعسكرية .

فيجب فقه الحركة الاجتماعية، على اختلاف أنواعها، فهي رصد للعلاقات الاجتماعية على مختلف الأصعدة التي تضطلع فيها التنشئة الاجتماعية بدور أساس، وإدراك التأثيرات البيئية، كما ينبغي سبر أغوار النفس البشرية باعتبار الإنسان المحور والأساس في هذا الوجود.

فالهدف من ضرورة فهم الواقع هو حتى لا يعيش من يتعامل مع التراث الإسلامي منعزلاً عن المجتمع الذي يعيش فيه ويجتهد له ويتعامل مع أهله.ولا يرتبط فقه الواقع بالاجتهاد فقط، وإنما يرتبط بالتجديد أيضاً، والواقع لا يمكن بدون فهمه والإحاطة بمكوناته ومؤثراته تحقيق مراد الله من التراث الإسلامي المنزل للبشر.

5- اعتماد نهج الوسطية في المقررات وفي طرق تدريسها :

كما يجب أن تعتمد هذه المقررات على الفكر الوسطي ونبذ الخلافات الفقهية التي تشتت الوحدة الفقهية، ونبذ التعصب المذهبي والتشدد في الأخذ من مناهل العلم الشرعي، فيتجرد طالب العلم عن مذهبه أو شيخه

أو مريده إلى الأخذ من جميع المصادر الشرعية والمذاهب الفقهية المتعددة، حتى نتجنب التعصب الفكري أو التطرف المذهبي، وهذا التعصب قد يكون تعصبا دينيا أو مذهبيا أو سياسيا أو طائفيا أو عنصرياً، وهو سلوك خطير قد ينحدر نحو الأسوأ ثم يؤدي إلى التطرف والهلاك والخراب بسبب التشدد وعدم الانفتاح وعدم التسامح أيا كان نوع التعصب ومهما كان شكله أو مصدره.

وما ظهور بعض الفرق إلا نتيجة لهذه الأمور كالسلفية التي انقسمت إلى عدة مذاهب أو انتشار مذهب الشيعة بصورة كبيرة وسط الطلاب ...الخ .

6- المحافظة على الأصالة مع وجوب التجديد في التراث الفقهي وطرق التدريس :

وفي هذا الإطار يجب تعديل التراث الفقهي والمناهج والمقررات الشرعية والدينية بنظرة دقيقة تحافظ على الأصالة وتراعي التجديد العصري ومتطلباته وتراعي فقه الواقع، ويتولى تطويرها علماء مجتهدون لهم شروط خاصة كالإلمام الكافي باللغة العربية ومفرداتها والقرآن والحديث وبالتراث الإسلامي وبالفقه الإسلامي وفقه الواقع. كما يجب التفريق بين الفكر الإسلامي والدين الإسلامي إذا أردنا أن نعدل أو نطور من مناهجنا الدينية لأن الدين ثابت وقطعي، أما الفكر الإسلامي والتأويلات والتفسيرات فهي قابلة للرؤية وإعادة النظر.

فالتجديد في النصوص الشرعية واقع لابد منه وهو ضرورة ملحة لكل عصر[24]، فيجب بث الروح في الكتابات الفقهية وعدم الوقوف عند شكل العبادات و تجاوزها إلى المضامين الجميلة للشريعة في أحكامها وعقودها والاعتناء ببيان حكمة التشريع و اشتماله على المصالح العليا والعامة .ويجب إعادة النظر في تصنيف المادة الفقهية تصنيفاً جديداً يراعى فيه ربط الفقه بالعقيدة و الأخلاق و الآداب و السياسة الشرعية و العناية بضوابط العلوم الطبيعية و الإنسانية والاجتماعية،كما ينبغي تيسير و تبسيط الفقه و ذلك بكتابة الفقه بلغة مبسطة وأسلوب سهل بعيداً عن وعورة المصطلحات التي لا يفهمها غير المتخصصين يتمثل في ربط الفقه بالواقع، وكذا تجديد المقررات الشرعية وفقا للواقع .

" ولذلك نحن بحاجة إلى التجديد في طريقة تدريس العلوم الإسلامية، وإلى التغيير في مناهج التربية والتعليم؛ لأن هذه المناهج ما تزال تعتمد على الحشو في الدماغ وكثرة المواد... وتقتل في الطالب ملكة التفكير وتدفعه إلى الحفظ. إننا بحاجة إلى بناء فكر طلبة العلوم الشرعية وليس إلى بناء ذاكرتهم فحسب " [25].

ويضيف الدكتور عمار طالبي : صحيح أننا نملك تراثا غنيا لكن ينبغي أن نقوم بغربلته؛ فليس كله حسنات كما أنه ليس كله سيئات. ونحن أمامنا عملية ذات شقين. الشق الأول يتمثل في هدم ما لا يصلح. والشق الثاني يتعلق باعتماد ما هو أصيل والبناء عليه؛ لأنه لا يجوز أن نقطع تماما مع آرائنا وتاريخنا، والقطيعة أصلا غير ممكنة في أمة إذا قامت بقطيعة كلية فمعنى ذلك أنها ستتيه في بحر التلف كما قال ابن خلدون[26].

---

[24]- انظر في هذا أكثر : جمال عطية، وهبة الزحيلي، تجديد الفقه الإسلامي، دار الفكر المعاصر – دمشق، د.ط، د.ت، ص 3 إلى 27 .

[25]- عمار طالبي ، المرجع نفسه .

[26]- المرجع نفسه .

فيجب التعرف على مدى معاصرة التراث للأحداث التي نعيشها، ومشاكل هذا العصر واستحقاقات المستقبل؛ فما هو ملائم لهذا العصر نحتفظ به، أما الاجتهادات التي وُلدت في عصر معين واستجابت لمشكلات معينة ولم تعد قائمة، فينبغي إعادة النظر فيها .

والتجديد منه ما يتعلق المادة الفقهية ومنه ما يتعلق بطريقة التدريس، فالتجديد المطلوب في المادة الفقهية هو تقديم اجتهادات جديدة في المسائل القديمة بما يتفق مع تغير الظروف الزمانية والمكانية بما يحقق مقاصد الشريعة، وأهم العناصر التي ينبغي التجديد فيها فيما يخص بالمقررات الشرعية نذكر ما يلي[27] : .

فبالنسبة لمصادر المادة الفقهية فبالإضافة إلى مراجع الفقه التقليدية هناك مصادر أخرى لا بد من الاعتناء بها وتتمثل في كتب النوازل التي تعرض المنهج الذي تعامل به الفقهاء مع الأمور المستحدثة في زمانهم، وكتب الفتاوى التي تلقي الضوء على كيفية تنزيل الأحكام على الوقائع، وكتب الأقضية التي لا بد من دراستها وإدخالها إلى جسم الفقه.

أ- الاهتمام بالمصادر التي تخص الكتب و الدراسات الجامعية الفقهية وكذلك البحوث التي قدمت في المؤتمرات والندوات العلمية وكذلك ما تصدره المجامع الفقهية من القرارات والتوصيات التي تعد صورة من الاجتهاد الجماعي التي ينبغي اعتمادها ضمن المقررات الشرعية.

ب- كما ينبغي توثيق الآراء الفقهية من مراجعها الأصلية وبيان الأدلة التي يستند إليها الفقيه والاستفادة من ما توصل إليه علماء الحديث في شأن الأحاديث المتعلقة بالوقائع، وعدم الاقتصار على المؤلفات الحديثة الجامدة وفتاوى المشايخ .

ج- بث الروح في الكتابات الفقهية و عدم الوقوف عند شكل العبادات و تجاوزها إلى المضامين الجميلة للشريعة في أحكامها و عقودها و الاعتناء ببيان حكمة التشريع و اشتماله على المصالح .

د- أهمية إجراء دراسات مقارنة بين المذاهب السنية والمذهب الجعفري والزيدي والإباضي والظاهري وآراء المجتهدين الذين اندثرت مواهبهم . ومناقشة الأدلة التي يستند إليها كل مذهب وذلك لتدعيم الوحدة الإسلامية التي أضر بها تشجيع التقليد دون معرفة الأدلة و حرص كل فريق على الطعن بالفرق الأخرى والغفلة عن الأسباب الموضوعية للخلاف في الفروع والتي تتعلق بمنهج الاستنباط و درجة الوثوق بالحديث والاختلاف في تفسير النصوص .

هـ - إجراء الدراسات المقارنة بين الفقه و القوانين الوضعية في مسائل المعاملات و ذلك لمعرفة نقاط الإنفاق والافتراق و ما ينبني على ذلك من العناية بصياغة الفقه من جهة وإدارة المعترك السياسي و الاجتماعي الخاص بتطبيق الشريعة .

و- ضرورة الاهتمام بالجانب التنظيري من الناحية الكلية كنظرية عامة في الشريعة، ومن الناحية الجزئية في مقدمة كل قسم وكل باب وفصل ما أمكن و ذلك لمتابعة المحاولات الرائدة لعلماء الأمة الذين كتبوا في

27- للتفصيل أكثر : انظر : جمال عطية، وهبة الزحيلي، المرجع السابق .

الأصول والمقاصد و القواعد و ذلك لتيسير التعلم وتقديم الإسلام كمنظومة مترابطة المقدمات والنتائج وتسهيل مهمة المجتهدين و القضاة في سد الفراغات التشريعية بالاعتماد على القواعد والنظريات المستنبطة من الفروع والمقاصد .

ز-تصنيف المادة الفقهية تصنيفاً جديداً يراعى فيه الإضافات المقترحة من ربط الفقه بالعقيدة والأخلاق والآداب و السياسة الشرعية والعناية بضوابط العلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية . ويراعى في التصنيف كذلك الوزن النسبي لمختلف الأقسام و الأبواب حسب أهميتها والحاجة إليها . وقد عرض الدكتور عطية تصوراً مبدئياً للتصنيف الموضوعي للفقه قسمه إلى ستة عشر قسماً مع بيان الوزن النسبي لهذه الأقسام بصورة عدد الساعات الأسبوعية اللازمة لتدريسها [28].

ح -تخطيط البحوث و ذلك لتغطية الاعتبارات المشار إليها في ملامح هذا البحث لتحقيق التفاعل والتناسق بين مختلف الموضوعات و لإحلال النسق الإسلامي محل النسق الغربي في ترتيب العلوم والكتابة فيها. و تزداد أهمية التخطيط في الأعمال الجماعية حيث يمكن معالجة الموضوعات التي يعرفها الناس بعناوين عصرية من واقع كتب الفقه التي عالجتها بعناوين مغايرة. وحيث يمكن إجراء المقارنة و المقابلة مع الموضوعات القانونية . وحيث يمكن توحيد منهج البحث في الموضوعات المتشابهة، و حيث يمكن التفصيل إلى آخر الجزئيات الممكنة لتغطية مختلف المسائل المثارة في المخططات وحيث يمكن منع التكرار و الازدواج وتغطية الموضوعات التي تختلف فيها المذاهب اختلافاً جذرياً .

ط- تيسير وتبسيط الفقه وذلك بكتابة الفقه بلغة مبسطة و أسلوب سهل بعيداً عن وعورة المصطلحات التي لا يفهمها غير المتخصصين، و الكتابة المتوسطة بين الإيجاز الملغز و بين الإطناب الممل و كذلك الاستفادة من وسائل الإيضاح الممكنة من رسوم و صور و خطوط بيانية و جداول و خرائط و غير ذلك .

ك -ويجب مخاطبة المستويات المختلفة من الناس مراعاة للتدرج في تحصيل العلوم من كتب مؤلفة لعامة الناس و كتب تناسب المراحل التعليمية المختلفة من التعليم العام و كتب تناسب المرحلة الجامعية بالإضافة إلى الموسوعات و الدراسات المتخصصة .

م- التجديد في المتغيرات، فالدين قائم على الثوابت والمتغيرات : اشتملت الشريعة ذات المصدر الإلهي على أحكام ثابتة لا تتغير وأحكام قابلة للتغير و التطور تحقيقاً لمبدأ مرونة الشريعة ووفاءً لحاجات الناس لتصبح الشريعة صالحة في كل زمان و مكان[29] . وثوابت الأحكام هي أصول الشريعة ومبادئها العامة وأحكام العبادات ذات الغرض التهذيبي و الاجتماعي وهي مطلوبة على النحو الذي شرعه الشارع إلا ما كان من تغيير بعض

---

[28]- جمال عطية، وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص 12 .

[29]- الثابت هو النصوص الثابتة، أما الاجتهادات في الفهم وتطبيقاتها فمتغيرة .فإذا كانت الشريعة هي نصوص القرآن وما ثبت من السنة، فإن الفقه هو الفهم لهذه النصوص... وهذا الفهم هو الذي يتجدد بتجدد العصور، وإلا أصابنا جمود تام. لهذا ينبغي أن نقوم بعملية هدم ثم بناء من جديد، وبدون هذه التصفية لا نستطيع أن نتحرك بشكل إيجابي وفعال؛ لأننا سنكون مكبلين بهذه الأشياء التي لم تعد صالحة.

الكيفيات لتلائم ما استجد من الأحوال والأوضاع و خاصة ما يتعلق بوسائل المواصلات وأداء وصرف الزكاة . وفي أحكام الطهارات والزينة وأحكام الأسرة والمعاملات والعقود أصول و ثوابت لا يجوز تجاوزها.فلا يجوز الاجتهاد في الأحكام المعلومة من الدين بالضرورة أو التي ثبتت بدليل قطعي الثبوت والدلالة. ويجوز الاجتهاد في الأحكام التي ورد فيها نص ظني الثبوت أو الدلالة أو التي لم يرد فيها نص ولا إجماع.

ن- كما ينبغي الاهتمام بأهلية المجدد : إن باب الاجتهاد مفتوح لمن تأهل له و هو إما فرض عين إذا تعين المجتهد و إما فرض كفاية إذا تعدد المجتهدون .فلا بد لمن يتحدث عن الأحكام الشرعية واستنباطها من وجود المؤهل العلمي والأدبي وكالإلمام الكافي باللغة العربية ومفرداتها والقرآن والحديث وبالتراث الإسلامي وبالفقه الإسلامي وفقه الواقع، ولا يقبل من إنسان مهما علا قدره أو اشتهر أن يقول في شيء لا اختصاص له به، فلابد من وجود المجتهد الحي الذي يعرف الواقع ويجتهد له ليتحقق فرض الكفاية في الاجتهاد .

خامسا: آثار الوسطية في مجال ترسيخ وتحقيق الأمن الفكري

1-محاربة التكفير :

إن الفكر الوسطي يساهم في محاربة الفكر التكفيري الذي تنامى في العصر الحالي بصورة كبيرة، وهو بوابة ظهور الفكر الجهادي المتطرف الذي يبني فتاويه من مرجعية التكفير، فكل من يخالف عقيدته وفكره فهو خارج من الملة ويجوز قتله، ولهذا الغرض تساهم الوسطية في ترسيخ الأمن الفكري من خلال اعتماد الفكر الإسلامي المعتدل الواعي بحقيقة أحكام الشريعة الإسلامية في مجال التصنيفات الشخصية خاصة في " مجال الولاء والبراء " والتكفير والتضليل، والتبديع والتفسيق .، وكذا علم التجريح .. الى غيرها من المصطلحات التي يتشدق بها العديد من قاصري الفهم ومحدودي الدراسات الشرعية، الذين لم يتلقوا العلوم الشرعية الحقيقية، ولم يأخذوا منها إلا القشور وظواهر الأمور مما سبب في تنامي الفكر المتطرف الذي تحول إلى إرهاب حقيقي يهدد المن الفكري بل الأمن الإنساني بمعناه العام،

فالمناهج الشرعية المدرسة غير السليمة، ومن يقوم بتلقينها من العوامل التي تساعد على انتشار ظاهرة الفكر التكفيري، ولهذا فإن الحاجة ملحة إلى تنقيح الآثار المتعلقة بهذا الباب، وإسنادها لذوي الكفاءة والخبرة بحقيقة الدين الإسلامي ظاهرا وباطنا .

وقال الإمام محمد عبده: " أصل من أصول الأحكام في الإسلام: البعد عن التكفير، ولقد اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد دينهم أنه: إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه، ويحتمل الإيمان من وجه واحد، حُمل على الإيمان، ولا يجوز حمله على الكفر، فهل رأيت تسامحاً مع أقوال الفلاسفة الحكماء أوسع من هذا?! وهل يليق بالحكيم أن يكون من الحمق بحيث يقول قولاً لا يحتمل الإيمان من وجه واحد من مائة قول "[30].

2-محاربة الإرهاب والعنف :

تساهم الوسطية في نشر ثقافة التآلف والمحبة، ونبذ العنف بمختلف أشكاله، التي تعد المدخل الأساسي

[30]- محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، دار الشروق، مصر، د .ط، 2009، ج 3، ص 302 .

لظهور وتنامي الظاهرة الإرهابية [31]، والإرهاب لا يؤدي إلا إلى التخريب والهلاك والإفساد،وهذا مخالف لمقتضيات الشرع، قال تعالى:﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾[32] قال القرطبي: "نهى – سبحانه– عن كل فساد قل أو كثر بعد صلاح قل أو كثر فهو على العموم على الصحيح من الأقوال " [33].

وهذه الأخيرة– الظاهرة الإرهابية – تجد مكانها لدى المجتمعات التي تعاني القصور والتطرف الفكري، جراء تلقي المعارف الدينية الشرعية المغلوطة، البعيدة عن روح الشريعة الإسلامية ومقاصدها الحقيقية المتعبد بها من الله عز وجل، " فالتصرفات البشرية تخضع للتيارات الفكرية والعقدية الموجهة لها " [34].

والخلل الأكبر يرجع إلى منهج التلقي؛ حيث تتلمذ طائفة من الغلاة على من لا علم عنده، أو على أنفسهم، فلا يقتدون ولا يهتدون بما عليه العلماء الراسخون، بل يقدحون فيهم، ويلمزونهم[35]. ثم هم لا يعتمدون في تلقي هذه المعلومات على المؤسسات العلمية الجامعية الأكاديمية المعتمدة ؛ بل يتتلمذون على بعض الأشخاص العصاميين ممن لم يتلقوا تكوينا علميا منهجيا أكاديميا،فالممارسات العنيفة تأتي نتيجة الفهم السقيم للتراث الإسلامي، والفهم العميق لروح الشريعة الإسلامية ومقاصدها وأصولها العامة والقواعد التي تنضبط بها عقول طلاب العلم خاصة وعقول المسلمين بصفة عامة .

3–التأصيل السليم للمصطلحات :

إن الفهم الواعي لبعض المصطلحات من أولوية الفكر الوسطي و المؤسسات العلمية المعنية بتلقين العلوم الإسلامية من خلال المقررات الشرعية التي تصدرها وتلقنها، كمصطلحات الدولة الإسلامية والخلافة الإسلامية، الجهاد، الدفاع الشرعي، الولاء والبراء وغيرها، فكثيرا ما كانت هذه المصطلحات سببا في التطرف الفكري، بسبب التلقين السيئ لها، والفهم الخاطئ لمدلولاتها بعيدا عن فهم السابقين لها ممن قعدوا ونظروا لها، خاصة في مجال المعتقدات والسياسة الشرعية وبالتحديد جدلية الطاعة للحاكم والخروج عليه، والولاء والبراء وما خلفا من صراعات طفت على السطح، فسمحت بتنامي العنف والإرهاب .

4– الفهم الصحيح للتراث الإسلامي

إن الفكر الوسطي يعين الطالب على المحافظة على الأصالة في تراثنا الإسلامي بالفهم الصحيح المنضبط بالقواعد والأصول العلمية بما يدفع عنا أي نوع من الانحراف الفكري، وألا نغفل المهم والمفيد لنا من جهود المجددين، ما دام التجديد يرتكز على أصول راسخة، وجذور ثابتة مستوحاة من روح التراث ومعطياته، بما يحفظ على الأمة الإسلامية هويتها ويمكنها من أداء رسالتها ودورها المنشود في هذا العالم، ويحقق السلام في

---

[31]– هو الاعتداء المنظم من فرد أو جماعة أو دولة على النفوس البشرية، أو الأموال العامة أو الخاصة بالترويع والإيذاء والإفساد من غير وجه حق، ي استخدام للعنف العشوائي أو المنظم ضد أبرياء بهدف ترويعهم ولتحقيق مآرب سياسية أو مصلحيه .

[32]– سورة الأعراف، الآية56.

[33]– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، 1965م، ج7، ص 226 .

[34] –ابن قيم الجوزية، الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2 ، 1393 هـ، 1973 م، ص 293، 260.

[35]– ناصر العقل، الأهواء والافتراق والبدع عبر تاريخ الإسلام، دار الوطن، ط2، 1417هـ، ص

ظل العيش المشترك، بما يكشف عن حكمة التمسك بالدين وصلاحية تشريعاته لكل زمان ومكان

إن الفهم السليم والعميق للتراث الإسلامي لا يكون إلا من خلال فهم الواقع المحيط بالإنسان،وهذا يوجب ضرورة إدراج هذا العنصر الحيوي ضمن المقررات الشرعية للطلبة، فلا يمكن التعامل مع هذا التراث دون إسقاط تعاليمه على واقع المجتمع، ومراعاة التطورات المعاصرة التي تواكب تطورات المجتمعات فهو تراص متجدد وليس تقليديا فحسب، فالتشريع الإسلامي بطبيعته وخصائصه قادر على مواكبة الحياة البشرية واستيعاب تطوراتها في نختلف المجالات، وأنه بذلك صالح لكل زمان ولكل إنسان، فالتراث الإسلامي يتضمن كليات وقواعد شرعية عامة موضوعية، مجردة عن الزمان والمكان، بحيث يصلح الاعتماد عليها في استيعاب ما يجد من الوقائع والحوادث عن طريق إدراج كل واحدة منها في دائرة نظائرها من هذه الكليات والقواعد الشرعية.

5-محاربة التشدد والغلو في الدين :

فالوسطية تساهم في القضاء على الغلو في الدين، والتشدد المتزمت الذي ينفر من الدين أكثر مما يعتقد أصحاب هذا النهج، كما أنه يساهم في القضاء على الفكر التحريضي، من خلال التقعيد الشرعي السليم لضوابط الفتاوى الشرعية[36]، التي تعد البوابة الرئيسية في ظهور بوادر الفكر التطرفي والتطرف الديني الضال المنحرف عن جادة الصواب .

6-قيام الدين على السلام والأمن والمواطنة :

إن الوسطية هي التي تعلم الفرد ثقافة السلام وحب الخير للجميع، فالإسلام دين السلام والمن والتسامح والرحمة، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[37]، لأن الأصل الدعوة إلى الوحدة والتعاون ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾[38]، ففهم العلوم الشرعية وفق المنهج الوسطي المعتدل يجابه تلك التوجهات المتطرفة التي تسعى لإثارة الفتنة المذهبية، وتصعيد الكراهية للآخر عن عمد، وتأجيج الصراع بين أبناء المجتمع الواحد وبشكل مقصود" لاسيما وأن الموروث الحضاري، والتراكمات الفكرية والتاريخية الإسلامية المُثقَلة بإرهاصات الصراع المذهبي؛ تمثِّل أحد الأسباب الرئيسة التي تقف وراء بيئة التعصب المذهبي الراهن، والذي يتم تناقله من جيل إلى آخر، عن طريق بعض الأطراف، وكذا مواقع التواصل الاجتماعي في واقعها الافتراضي الماكر؛ حيث تبدأ الفتنة بالتفاعل السلبي، من قلب الفضاء الإسلامي، ومحافله العامة، لتغذيها بعض الوسائل الإعلامية، والفضائيات المشبوهة عن عمد، قبل أن تَهُبَّ عليها عواصف التعصب من الخارج" [39] .

---

[36]- وهي تتعلق بشروط خاصة بالفتوى ذاتها، وأخرى تخص بشخص المفتي .

[37]- سورة الأنبياء، الآية 109 .

[38]- سورة الأنبياء، الآية 92 .

[39]- نايف عبوش، المذهبية الإسلامية، إشكاليات التعصب وضرورات التسامح، بحث منشور بالموقع الالكتروني :
http://www.alukah.net/sharia/0/44067/#ixzz3mSSrAHXv

كما تساهم الوسطية في تأصيل حب الوطن والانتماء له في نفوس الطلبة، بل ينبغي ترسيخها عند أطفالنا منذ الصغر، ويتم ذلك من خلال تعزيز الشعور بشرف الانتماء للوطن، والعمل من أجل رقيه وتقدمه، والدعوة إلى إعداد النفس للعمل من أجل خدمة الوطن ودفع الضرر عنه، والحفاظ على ممتلكات الوطن ومكتسباته، والمشاركة الفاعلة في خطط تنميته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

خاتمة :

مما لاشك فيه أن المقررات الشرعية الصحيحة التي تراعى فيها الشروط السابقة وغيرها،

1-تساهم الوسطية في محاربة التعصب والتطرف الفكري الذي يؤدي إلى انهيار منظومة الفكر السوي والوسطي، والحوار البناء والجاد والمعتدل .

2-تساهم الوسطية في تحقيق مبدأ الأمن الفكري الذي هو امتداد لتحقيق الأمن الإنساني الشامل، وبناء منظومة إنسانية فكرية وسطية معتدلة .

3-إن الفكر الوسطي السوي يحد من التطرف الفكري والديني ويقلص من ظهور الظاهرة الإرهابية والعنف واستعمال القوة والتشدد .

4- تسعى الوسطية من خلال تأصيل الفكر الوسطي المعتدل إلى ظهور الحقد والكراهية والإقصاء وإلغاء الآخر ونبذه وظهور الأنا والعلو على الغير، ويؤدي إلى زعزعة وانهيار الأمن الوطني ويهدد الأمن والسلم الدوليين، بالإضافة إلى انهيار الأمن الفكري والأمن الاجتماعي.

التوصيات المقترحة:

1- الاهتمام بتلقين العلوم الإسلامية وفق منهج وسطي وفكر معتدل سوي.

2- يتعين على مؤسسات تلقين العلوم الإسلامية والتراث الفقهي العمل على خلق فكر متوازن لدى الشباب وتعزيز مفاهيم التعايش السلمي ونبذ العنف، ونشر ثقافة التسامح مع الآخرين وحب الخير لهم، لمحاربة الانقسامات الفكرية الحادة وحمى التصنيفات الفكرية والمذهبية، وما يترتب على كل ذلك من انقسامات مجتمعية وظهور موجات من العنف الفكري والجسدي لها أكبر الأثر في تشتت الدول وإضعافها .

3- يجب أن تعتمد هذه المؤسسات العلمية على مجموعة من المبادئ لتحقق هذه الغاية حتى نتجنب التعصب الفكري،ويعتبر الفكر الوسطي ونبذ الخلافات الفقهية من أولويات هذه المقررات .

4-ينبغي تعديل المناهج والمقررات الشرعية والدينية المدرسة في كل المستويات التعليمية بنظرة دقيقة تحافظ على الأصالة وتراعي التجديد العصري ومتطلباته وتراعي فقه الواقع .

5- ينبغي تكوين وتأطير الموارد البشرية المؤهلة من العلماء والأساتذة الذين تتوفر فيهم الشروط الضرورية والمؤهلات العلمية الكافية وفق المنهج الوسطي المعتدل .

قائمة المصادر والمراجع :

1- آبادي أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم، عون المعبود شرح سنن أبي داوود، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، د .ط، 1415 هـ، 1999 م.

2- أديب إسحاق، وآخرون، أضواء على التعصب، دار الأمواج،بيروت، ط1، 1993.
3- أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب المحيط، دار صادر، بيروت،لبنان، د. ط،1424هـ، 2003م.
4- أنور الجندي، من منابع الفكر الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ن القاهرة، 1386هـ، 1967م
5- بليل عبدالكريم، التعصب، بحث منشور بالموقع الالكتروني :
: http://www.alukah.net/culture/0/38047/#ixzz3mSMz87qK
.6- توفيق الطويل ، أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة، د .ط، 1978 .
7-جمال عطية، وهبة الزحيلي، تجديد الفقه الإسلامي، دار الفكر المعاصر – دمشق – سورية ، د.ط، د.ت،
8- عماد الدين خليل، مدخل إلى إسلامية المعرفة، مع مخطط مقترح لإسلامية علم التاريخ، منشورات الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة إسلامية المعرفة، العدد9، ط3، 1412هـ، 1992م.
9- عمار طالبي في حوار مع موقع الرابطة المحمدية للعلماء، منشور بموقع :
http://www.feqhweb.com/vb/t2141.html
10-ابن القيم، الوابل الصيب، دار الكتاب العربي، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض. بيروت، ط 1، 1405هـ/1985م،
11- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، 1965م، ج7، ص 226 12-ابن قيم الجوزية، الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1393 هـ، 1973 م.
13-محمد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، د. ط، د.ت .
14- محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، دار الشروق، مصر، د .ط، 2009.
15- محمد نصير، الأمن والتنمية، مكتبة العبيكان، الرياض، د.ط، د.ت .
16- ناصر العقل، الأهواء والافتراق والبدع عبر تاريخ الإسلام: دار الوطن، ط2، 1417هـ.
17- نايف عبوش، المذهبية الإسلامية، إشكاليات التعصب وضرورات التسامح، بحث منشور بالموقع الالكتروني :
http://www.alukah.net/sharia/0/44067/#ixzz3mSSrAHXv